خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٦/٩/٤

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

حين جعل الله تعالى النبي ﷺ الإنسانَ الكاملَ وجعله الأسوة الحسنة للبشرية جمعاء، فإنه زوده بكل خلق حسن وجعله على خُلُق عظيم، وأوصى المؤمنين وقال إذا أردتم التحلي الصفات الحسنة وبلوغ أعلى مستوى في الأخلاق فاتّبِعوا هذا الرسول العظيم، وبهذا ستفوزون برضا الله تعالى.

لقد بلغ النبي ﷺ أرفع مستوى في كل خلق حسن، ونصح المؤمنين أيضا بالسعي لبلوغ أسمى مستوى في كل خُلق حسن. وحيث إنني أتحدث في خطب الجمعة عن شتى جوانب سيرته ﷺ في هذه الأيام، فسوف أتناول اليوم ذكر جوانب سيرته، ومقامه، ونصحه المؤمنين، وعمله فيما يتعلق بالتوكل على الله.

لقد بيّن الله تعالى موضوع التوكل في القرآن الكريم في أماكن مختلفة ومن جوانب شتى. فقال تعالى في موضع مخاطبا النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا * وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾ (الأحزاب: ٤٦-٤٩)،

أي يا أيها النبي لقد بعثناك كشاهد على الناس، وكمبشر للمؤمنين، وكمنذر للكافرين، وكداعٍ إلى الله بإذنه، وكشمس مضيئة، وبَشِّرْ المؤمنين بأنه سينالهم من الله فضل كبير، ولا تُطعْ الكافرين والمنافقين، ولا تُبالِ بأذاهم، وتوكلْ على الله وكفى بالله وكيلا.

فكما أن هذه بشرى للنبي ﷺ فإنها بشرى للمؤمنين أيضا بأنهم إذا ظلوا ثابتين على الإيمان، وعاملين بأحكامه، ومتوكلين على الله كامل التوكل، فإن الله سوف يكفيهم في كل موقف صعب.

ثم يوصي الله المؤمنين ويقول: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (التغابن: ١٤)، أي لا معبود سوى الله تعالى، لذا فعلى المؤمنين أن يتوكلوا على الله وحده. فإذا عبدنا الله تعالى حق العبادة،

وتوكلنا عليه وحده فسوف نرى آياته أيضا. ونجد أسمى نموذج لذلك في شخص النبي ﷺ، ثم بفيضه نال صحابته نصيبا منه، ضاربين لنا أروع الأمثلة في هذا المجال.

قال سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام: "بالنظر إلى وقائع حياة سيدنا خاتم الأنبياء ﷺ يتضح وبمنتهى الوضوح وبجلاء تام أنه كان مخلصا من الطراز الأول، وطاهرَ الباطن، ومستعدّا للتضحية بروحه في سبيل الله، وراغبا كليا عن أيّ أملٍ أو يأس من المخلوق، ومتوكلا على الله وحده بحيث إذا نظرنا إلى أحداث حياة الأنبياء فلا نجد أحدًا منهم توكل مثله في مواطن الخطر، ونهى عن الشرك وعن عبادة المخلوق بصراحة وحسم، لقد كان راسخ الأقدام أمام الأعداء الكثيرين". (يقول عليه السلام لا شك أن الأنبياء يتبوأون مقاما عاليا إلا أننا لا نجد عندهم أمثلة التوكل الذي تحلى به النبي ﷺ)

ثم يقول عليه السلام: "إن رسولنا ﷺ هو القدوة العَملية للتبتل (أي لحب الله تعالى والانقطاع عن الدنيا)، فلم يبالِ بمدحِ مادح، ولا بلومة لائم. كم كابدَ من المعاناة والأذى، ولكنه لم يكترث لذلك. لم يمنعه طمعٌ ولا إغراء من مواصلة مهمته التي جاء من الله تعالى من أجل إنجازها. فعلى المرء ألا يهدأ ولا يطمئن ما لم يبلغ هذا المقام، وما لم ينجح في الامتحان.

(فسيدنا المسيح الموعود عليه السلام يوصينا ببلوغ هذا المقام، ويقول: على الإنسان ألا يتقاعس أو يغفل، بل عليه أن يبلغ من التوكل على الله مقاما بحيث لا ينظر إلى ما سوى الله تعالى. ثم يقول عليه السلام:) اعلموا أن الذي يكون متبتلا يكون متوكلا أيضا، وهذا يعني أنه لا مناص للمرء من أن يكون متوكلا لكي يكون متبتلا، (أي لا بد من الإنابة إلى الله من أجل بلوغ مقام التوكل) إذ كيف يمكن أن يتوكل على الله بصدق وإخلاص وعلاقاتُه مع الآخرين قائمة، وهو لا يزال يتوكل عليهم ويثق بهم. عندما ينقطع الإنسان إلى الله تعالى فإنه ينقطع عن الدنيا ويرتبط بالله تعالى، ولا يتأتى ذلك إلا حين يتوكل على الله توكلا كاملا. وإن نبينا ﷺ كما كان متبتلا كاملا، كذلك كان متوكلا كاملا أيضا، ولذلك لم يأبه بزعماء الأقوام وأسياد القبائل ذوي الشوكة والمنعة، ولم يكترث لمعارضتهم مطلقًا. كان عنده يقين خارق بالله تعالى، ولذلك حمل هذه الأمانة الثقيلة، وتعرّضَ لمعارضة العالم كله ولم يعبأ به شيئا. هذا نموذج عظيم للتوكل لا نجد له نظيرا في العالم، لأن المرء في هذه الحالة يختار الله تعالى، ويجعل العالم كله عدوا له. ولكن لا يبلغ أحد هذا المقام ما لم ير اللهَ تعالى بنفسه، إن صحّ التعبير، وما لم يأمل أن بابا آخر سيُفتح له بعد ذلك حتمًا، وعندما يتحلى بهذا الأمل واليقين فإنه يجعل أقاربه أعداء له في سبيل الله، لأنه يعلم أن الله تعالى سيجعل له أقارب وأصدقاء جددا، وإنه يخسر المال والعقار ليقينه بأنه سيجد خيرا منه. خلاصة الكلام أن تقديم رضا الله على كل شيء سواه هو التبتل. التبتل والتوكل توأمانِ. وسِرُّ التبتل هو التوكل، وشرطُ التوكل هو التبتل. هذا هو مذهبي في هذا الموضوع".

فحين ننيب إلى الله كل الإنابة، ونَدَعُ التوكل على الدنيا، عندها يتسنى لنا التوكل الحقيقي، وكما قلت وكما نعلم جميعا فإن أفضل مثال لذلك هو سيدنا ومولانا محمد المصطفى ﷺ.

ويقول المسيح الموعود عليه السلام: "لا تظنوا أن الله تعالى ضعيف، كلا، بل إنه شديدُ القُوى، فلو توكلتم عليه في أمر من أموركم لأعانكم يقينا: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾. كان أوّلُ المخاطَبين في هذه الآيات أهلَ صلاح ودين، وكانت جلُّ همومهم عن الدين فقط، وكانوا قد فوّضوا أمور دنياهم إلى الله تعالى، ولذلك طمأنهم الله بأني معكم. باختصار، إن من بركات التقوى أن الله تعالى ينجي المتقي من المصائب التي تعيقه عن خدمة الدين. كما أن الله تعالى يرزق المتقي خاصة. سوف أتحدث هنا عن رزق المعارف (هنا لا يتحدث عليه السلام عن الرزق المادي، بل يتحدث عن رزق المعارف، فيقول:) كان على النبي ﷺ مواجهة العالم كله بمن فيهم أهل الكتاب والفلاسفة وكبار المثقفين والعلماء، مع كونه أُمّيًّا، فمنحه الله الرزق الروحاني حتى غلب الجميعَ ونبّههم على أخطائهم. كان هذا رزقا روحانيا لا مثيل له".

وهناك رواية بهذا الصدد، عن عمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا".

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "الزَّهَادَةُ فِي الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا إِضَاعَةِ الْمَالِ، (كما هو دأب بعض المتصوفية الزائفين المعاصرين حيث يقولون لا نرغب في المال، ويقولون لا نقبل حتى الأشياء التي جعلها الله حلالا، فالزهادة أن تثق بما عند الله أكثر مما في يدك من المال) وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ إِذَا أَنْتَ أُصِبْتَ بِهَا أَرْغَبُ فِيهَا لَوْ أَنَّهَا أُبْقِيَتْ لَكَ". (سنن الترمذي، أبواب الزهد) هذا هو التوكل أن تثق بأن الله تعالى سيقضي حاجتك وهذه الثقة يجب أن تكون أقوى من ثقتك بما عندك، فقد تضيع بعض ما عندك، ولكن ما عند الله تعالى لا يضيع أبدا، وإن المتوكل يعطى على قدر حاجته كما يعطى صاحب العمل الصالح على عمله.

عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: "إِنَّ مِنْ قَلْبِ ابْنِ آدَمَ بِكُلِّ وَادٍ شُعْبَةً، فَمَنِ اتَّبَعَ قَلْبُهُ الشُّعَبَ كُلَّهَا، لَمْ يُبَالِ اللهُ بِأَيِّ وَادٍ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَى اللهِ كَفَاهُ التَّشَعُّبَ". (سنن ابن ماجة، كتاب الزهد، باب التوكل واليقين)

جاء في شرح هذا الحديث أن معناه أن من جعل قلبه تابعًا لشتى الرغبات والهموم والانشغالات الدنيوية، وتوزعت وجهته في كل جانب، فإن الله تعالى لا يعبأ به. فهو يهلك في أي وادٍ من أودية الدنيا، إذ لا فرق عند الله تعالى في أي وادٍ يهلك، ولا أين يحيا أو أين يموت، فلا يعبأ الله بذلك. أما قوله: «ومن يتوكل على الله»، فمعناه أن الله تعالى يتكفّل بحاجات هذا المتوكل المتنوعة، وبهمومه وضروراته المختلفة، ما دام قد أقبل على الله تعالى وتوجه إليه واعتمد عليه؛ فيقضي الله تعالى حوائجه. ويؤيد هذا المعنى أيضًا ما ورد في رواية أخرى أن رسول الله ﷺ قال: "من جعل همومه كلها همًّا واحدًا، وهو همّ الدين، فينظر في دينه،

وفي علاقته بالله تعالى، وفي حالته الروحية، كفاه الله سائر همومه في الدنيا والآخرة". هذا هو معنى هذا الحديث.

كان النبي ﷺ يدعو بمنتهى الدقة، واضعًا نصب عينيه التوكل على الله تعالى، في شؤونه اليومية. عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ قَالَ: "بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، اَللّٰهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نَزِلَّ، أَوْ نَضِلَّ، أَوْ نَظْلِمَ، أَوْ نُظْلَمَ، أَوْ نَجْهَلَ، أَوْ يُجْهَلَ عَلَيْنَا." (سنن الترمذي، أبواب الدعوات).

وكذلك هناك رواية أخرى، حيث قال بُرَيدة ﷺ أن النبي ﷺ كان إذا خرج من بيته يقول: "بِسْمِ اللهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ، أَوْ أَبْغِيَ أَوْ يُبْغٰى عَلَيَّ". (كنز العمال، جزء ٧) لقد شمل هذا الحديث الأمور جميعها.

ثم نجد ذكر دعاء عند دخول البيت. حيث ذكر أبو مالك الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: "إذا دخل الرجل بيته فليقل: اَللّٰهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَوْلِجِ وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ بِسْمِ اللهِ وَلَجْنَا وَبِسْمِ اللهِ خَرَجْنَا وَعَلَى اللهِ رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ يُسَلِّمُ عَلَى أَهْلِهِ". (سنن أبي داود، كتاب الأدب) أي أنه يقرأ هذا الدعاء، ثم يدخل البيت ويُسلّم على أهله.

ثم هناك رواية حول توكله ﷺ وخشيته من الله تعالى: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَى بِلَالٍ، فَوَجَدَ عِنْدَهُ صُبَرًا (أي كومةً) مِنْ تَمْرٍ، فَقَالَ: «مَا هَذَا يَا بِلَالُ؟» فَقَالَ: تَمْرًا اِدَّخَرْتُهُ لَكَ، فَقَالَ: "وَيْحَكَ يَا بِلَالُ، أَمَا تَخَافُ أَنْ يَكُونَ لَهُ بُخَارٌ فِي النَّارِ؟ (أي يتسبب ذلك في العذاب) أَنْفِقْ يَا بِلَالُ، وَلَا تَخْشَ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا." (يعني توكل على الله.) (المعجم الأوسط، باب من اسمه إبراهيم)

يقول المسيح الموعود عليه السلام: "إن إيمان المرء يتقدم إذا عمل بأوامر الله وثبت على التوكل عليه. ذات مرة رأى النبي ﷺ بلالا ﷺ يجمع التمور، سأله النبي ﷺ: "لماذا تفعل ذلك؟". قال: أجمعها للغد. قال ﷺ: "ألا تؤمن بإله الغد؟". (إن الذي يرزقك اليوم هو الذي سيرزقك غدًا، أفلا تؤمن بهذا؟ لكنه أوضح أيضًا أن المراد ليس الإسراف والتبذير، فبعض الناس يبذرون فلا يدّخرون شيئًا.) قال عليه السلام: "ولكن قال ﷺ ذلك لبلال فقط ولم يقل لكل واحد. لا شك أن كل واحد يُنصَح على قدر فهمه". (الملفوظات ج٩)

ولا شك أن هذه النصيحة تتعلق بحال النبي ﷺ نفسه، إذ ورد صراحة في الحديث أن بلالا كان يدخر التمر من أجل النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: "إن توكلي هو على الله، فإن كان يُدّخر من أجلي فإن دخانه سيصلني. ولكنه ﷺ أوصى بعضا من الآخرين، وهذا ما أمر به القرآن الكريم أيضًا، بألّا تُسرفوا في الإنفاق حتى لا تتركوا لأنفسكم شيئًا من أسباب المعيشة، بل أعدّوا بعض الأسباب والوسائل، ثم توكلوا على الله تعالى، ليحفظ هذه الأسباب، ويوفقكم للانتفاع بها".

لا يعني التوكل ترك الاحتياط وعدم الأخذ بالأسباب، فهذا أيضًا مخالف للتعليم الإسلامي. فقد روى أنس بن مالك ﷺ أن رجلًا قال: يَارَسُوْلَ اللهِ، أَعْقِلُهَا وَأَتَوَكَّلُ أَوْ أُطْلِقُهَا وَأَتَوَكَّلُ؟ قَالَ ﷺ: "اِعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ". (سنن الترمذي، أبواب صفة القيامة). وهذا مثال يمكن تطبيقه على سائر الأمور أيضًا. وورد في الرواية أن النبي ﷺ قال هذا حين ترك أعرابي، أو عمرو بن أمية وفقًا لرواية أخرى، ناقته مطلقة عند باب مسجد رسول الله ﷺ، ودخل ليصلي.

وقد بيّن المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام تفصيل ذلك على النحو التالي:

"يجب على الإنسان ألا يتخلى عن التقوى، وليتوكل على الله، فعندها لن يتعرض لأي مشكلة، لكن التوكل على الله لا يعني أن يترك المرء التدابير، إنما يعني أن يكمل التدبير ثم يترك العاقبة على الله، وهذا هو التوكل، وإن لم يتخذ التدبير وتوكل فقط فإن توكله عقيم، أما إذا اعتمد على التدبير ولم يتوكل على الله فتدبيره أيضا لن يجدي شيئا. (أي إذا كان يزعم أن تدبيره يكفيه ولا حاجة للتوكل على الله فسيذهب تدبيره سدى) كان رجل راكبا على ناقة فلما رأى النبي ﷺ نزل منها تعظيما له، وأراد أن يتوكل دون اتخاذ أي تدبير، فلم يعقلها فلما عاد من زيارة النبي ﷺ لم يجدها فعاد إلى النبي واشتكى أنه كان قد توكّل وفقد الناقة، فقال له لقد أخطأت كان يجب أن تعقلها أولا ثم تتوكل". (الملفوظات ج٦)

روت عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أصاب دنانير فقسمها إلا ستة، فدفع الستة إلى إحدى أزواجه.

وفي رواية أخرى: لما كان رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه مستندًا إلى صدر عائشة رضي الله عنها قال: "يا عائشة، أين تلك الدنانير؟" قالت: هي عندي. قال: "أنفِقيها". ثم أُغمي عليه ﷺ. (كان النبي ﷺ قد أمرها باحتفاظ تلك الدنانير للإنفاق لاحقا) فلما أفاق قال: "أنفقتِ تلك الدنانير يا عائشة؟" قالت: لا والله يا رسول الله، ما أنفقتها بعد. قالت عائشة رضي الله عنها: فدعا بها، فوُضعت في كفه فعدّها فإذا هي ستة دنانير، فقال: "ما ظنّ محمدٍ بربه أن لو لقي الله وهذه عنده؟" ثم تصدّق بها كلها في سبيل الله، وتوفي في ذلك اليوم .(ابن سعد، المجلد٢)

يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾

نرى في أسوة النبي ﷺ كيف ضرب ذات مرة مثلا أعلى للتوكل. لقد أَمرنا بالتوكل على الله وكيف كان بنفسه يتوكل على الله. فلما أبدى مسيلمة الكذاب رغبته في اتباع النبي ﷺ مع جيشه ووضع لذلك شرطا، ولكن النبي ﷺ لم يقبل أيّ شرط، بل رفض ذلك بشدة. فقد ورد في رواية:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ مُسَيْلِمَةُ الكَذَّابُ عَلى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَقُولُ: إِنْ جَعَلَ لِيْ مُحَمَّدٌ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ تَبِعْتُهُ، وَقَدِمَهَا فِي بَشَرٍ كَثِيرٍ مِنْ قَوْمِهِ. (وقد جاء في بعض الروايات أن عدد

أتباعه حينذاك كان مئة ألف شخص، وقد يكون معه بالفعل عدد أقل). فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَمَعَهُ ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَفِي يَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قِطْعَةُ جَرِيْدٍ، حَتَّى وَقَفَ عَلَى مُسَيْلِمَةَ فِي أَصْحَابِهِ، فَقَالَ ﷺ: "لَوْ سَأَلْتَنِي هَذِهِ القِطْعَةَ مَا أَعْطَيْتُكَهَا، وَلَنْ تَعْدُوَ أَمْرَ اللهِ فِيكَ، وَلَئِنْ أَدْبَرْتَ لَيَعْقِرَنَّكَ اللهُ (وكان قد طلب من قبل من النبي ﷺ أن يجعَله خليفة بعده، وأجابه النبي ﷺ بأنك لن تُعطى ولو بقدر جريدٍ) ، وَإِنِّي لَأَرَاكَ الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ، مَا رَأَيْتُ، وَهَذَا ثَابِتٌ (أي الصحابي الذي كان برفقة النبي ﷺ) يُجِيبُكَ عَنِّي". ثُمَّ انْصَرَفَ عَنْهُ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَسَأَلْتُ عَنْ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ: "إِنَّكَ أُرَى الَّذِي أُرِيتُ فِيهِ مَا أَرَيْتُ". فَأَخْبَرَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ : أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: "بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ، رَأَيْتُ فِي يَدَيَّ سِوَارَيْنِ مِنْ ذَهَبٍ، فَأَهَمَّنِي شَأْنُهُمَا، فَأُوْحِيَ إِلَيَّ فِي المَنَامِ: أَنِ انْفُخْهُمَا، فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ بَعْدِيْ ". أَحَدُهُمَا العَنْسِيُّ، وَالآخَرُ مُسَيْلِمَةُ. (لقد تمرد هذان الاثنان، وقد انصرفا من هنالك في ذلك الوقت ثم حاربا المسلمين في عهد سيدنا أبي بكر رضي الله عنه)

لقد ذكر سيدنا المصلح الموعود رضي الله عنه هذا الحادث بالتفصيل كما يلي:

ما كان النبي ﷺ يتوجه إلى الدنيا وأهلها في أيّ شيء، ولم يكن يرفع عينه إلى الأسباب الأرضية قط، بل كان نظره يبقى مركَّزا على الله تعالى دائما أنه هو الذي سيُتمم كل شيء. فكان مثالا كاملا لتوكل لم يوجد نظيره في الأنبياء السابقين، ولم يُخلق متوكلٌ مثله بعده ﷺ أيضا.

يخبرنا التاريخ أن مسيلمة جاء في حياة رسول الله ﷺ إلى المدينة ومعه جيش عرمرم، وطلب من النبي ﷺ أن يعيّنه خليفةً من بعده، وقال إنه إن فعل ذلك سيتبعه هو وجماعته. وكانت حالة الإسلام في ذلك الوقت تقتضي أن يقبل النبي ﷺ طلبه ويستفيد من مساعدته، لأن الإسلام كان حينذاك في حالة ضعف، ولكن ذلك الوجود الطاهر الذي كان يثق بالله ويتوكل عليه ﷻ دائما، وما كان يلقي أدنى بالٍ للتدابير والخطط البشرية، رفض طلبه فورًا. وقال: لا يمكن أن يكون هذا.

لقد أوردتُ بهذا الشأن من قبل رواية ابن عباس رضي الله عنه جاء فيها أن مسيلمة الكذاب جاء في زمن النبي ﷺ وقال: إذا عيّنْني يا محمد (ﷺ) حاكمًا من بعده سأتبعه. وكان قد جاء في ذلك الوقت بعدد كبير من قومه.

فلما سمع رسول الله ﷺ ذلك، أقبل إليه، وكان ثابت بن قيس بن شماس رضي الله عنه معه، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة من غصن نخلة، حتى وقف أمام مسيلمة الذي كان جالسًا بين أصحابه. فقال له النبي ﷺ: "لو طلبتَ مني هذا الغصن أيضًا، ما أعطيتك إياه، ولن تتجاوز ما قدّره الله لك، وإن تولّيتَ قطع اللهُ دابرك، وإني لأراك الشخص نفسه الذي أُرِيْتُ بشأنه الرؤيا التي رأيتها، وهذا ثابتٌ سيرد عليك نيابةً عني". ثم انصرف النبي ﷺ.

يقول ابن عباس: (كما ذكرتُ من قبل) سألتُ عن معنى قول رسول الله ﷺ: "إني لأراك الشخص نفسه الذي أُرِيْتُ بشأنه الرؤيا التي رأيتها". أخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: "كنت نائمًا ذات مرة، فرأيت في يديّ سوارين من ذهب، وشعرت بشيء من الكراهية لوجودهما. فأوحي إليّ في المنام أن أنفخْ فيهما، فنفختُ فيهما فطارا. ففسّرت ذلك بأن رجلين كذّابين سيظهران من بعدي، أحدهما عنسي والآخر مسيلمة.

يتضح من هذا الحادث مدى يقين رسول الله ﷺ بالله تعالى، ومدى ثقته بنصرة الله ﷻ. فقد كان الكفار يحيطون به من كل جانب، وكانوا في كل وقت عاكفين دائما على إيذائه وإلحاق الضرر به، وكانوا يستخدمون كل وسيلة ممكنة لهذا الغرض. وكان قيصر وكسرى أيضًا يرسلان الأوامر تلو الأوامر إلى حكّامهما لمواجهة النبي ﷺ، وكانت بنو غسان تستعد للقتال، وكان الفُرس ينظرون إلى هذه القوة المتنامية بالحسد والدهشة، وكانت كل حكومة تنظر إلى هذه الدعوة الجديدة بعين الشك والريبة.

في مثل ذلك الوقت كانت نجاة رسول الله ﷺ من قبضة أعدائه صعبة، بل مستحيلة ظاهريا ما لم يكن معه جيش عرمرم.

إنّ الفتوحات بدءا من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة قد وضعته ﷺ في مواجهة كل حكومة مجاورة، وكان أصحاب العيون الثاقبة يُفكرون منذ البداية في إبادة هذه القوة المتصاعدة لأنهم كانوا موقنين أنه إذا تفاقمت أكثر فسوف تُدمّر نهائيا قوة قصورهم العظيمة. ففي هذه الظروف كان يعدّ قليلا مهما استعد رسول الله ﷺ لمواجهة هذه المظاهر العظيمة. إن العقل البشري يفرض في هذه الأوضاع أن يستقطب الإنسان الأصدقاء والأعداء ويضم إليه الأغيار أيضا بخطط مختلفة، وهو أمر يسهل فهمه على قراء التاريخ.

ولكن حبيبي هذا لم يكن إنسانا أرضيا، بل كان سماويا، فلم تكن للجيوش المتزايدة والخيول الراكضة والرماح الصاعدة والسيوف البارقة أية أهمية في نظره. فكان يرى نزول ملائكة السماء، وكان خالق الأرض والسماء يُلهمه كلاما يطمئنه وكان قلبه مليئا باليقين وصدره زاخرا بالإيمان. فبدلا من الاعتماد على الأسباب المادية كان توكله على الله تعالى، فأنّى كان له أن يقلق عند مواجهة هذه المصائب. فلم ير الاعتماد على مسيلمة وجنوده مناسبا ولا للحظة واحدة وقال له بكل صراحة بأني لو اضطررت للاستعانة بك مقابل قطعة جريد أيضا لما أعطيتك إياه دع عنك أن أستقطبك بوعد الخلافة الكاذب والاستعانة بقومك.

تأملوا في كيفية هذا القلب الغيور، وفكّروا في عظمة ذلك الإنسان المتوكل، واستشعِروا في قلوبكم حالة ذلك القلب المليء باليقين، ثم فكّروا في كيفية رده على مسيلمة الكذاب بكل يقين وتوكُّل! هل من ملك يستطيع أن يُبدي هذه الشجاعة والبسالة في مثل هذه الظروف؟ هل لتاريخ العالم أن يُري إنسانا من لحم ودم خرج من مواقف عويصة مثلها بسلام وأمان؟ وإلا فما السبب في ذلك؟ السبب هو أن مقارنة أحد

مع حياته لا تصح أصلا لأنه كان نبيا، ولا تجوز مقارنته إلا بالأنبياء، ولكن العظمة التي نالها رسول الله ﷺ لا يوجد نظيرها في الأنبياء أيضا لأنه ﷺ أفضل من جميع الأنبياء.

هنا لا بد من التذكر أنه لم يكن في بال النبي ﷺ عند الرد على مسيلمة أنه ﷺ كان يريد أن يحفظ حق الحكومة لأولاده لأنه إذا كان الأمر كذلك لعُدّ إنكاره نتيجة حبه لأولاده وليس بسبب التوكل على الله تعالى، ولكن النبي ﷺ لم يُنصّب أولاده خلفاء بعده، بل أشار إلى خلافة أبي بكر ﷺ، الأمر الذي يتبين منه أن إنكاره ﷺ لم يكن بسبب هدف دنيوي، بل كان ناتجا عن يقين لا حدود له.

كذلك لا بد من التذكُّر أن الاستعانة بمسيلمة لم تكن مضرة ظاهريا من حيث الدين أيضا لأنه لو قدَّم شروطا وقال لرسول الله ﷺ: أنا جاهز لاتّباعك على أن تقبل شروطي في الأمور الدينية كذا وكذا، كان بالإمكان أن يُقال بأنه ﷺ رفض ذلك تعصبا لمعتقداته، ولكن مسيلمة لم يقل شيئا يتبين منه أنه كان يريد أن يغيّر شيئا في الدين، وعليه فكان سبب إنكاره ﷺ عائدا إلى توكُّله ويقينه بالله تعالى فحسب.

والجدير بالذكر أيضا أنه لو أراد النبي ﷺ لكان بإمكانه أن يقتل مسيلمة لأنه كان في المدينة، وكان في قبضته ﷺ وإن كان مصحوبا بمجموعة كبيرة. ولكن النبي ﷺ توكل على الله تعالى في هذا الأمر أيضا بأنه سيهلك هذا المؤذي بنفسه. اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك وسلّم إنك حميد مجيد.

والآن بعد الصلاة سأصلي صلاة الغائب على بعض المتوفَين، وسأذكر نبذة عن حياتهم، وأولهم السيد مرزا صفدر محمود ابن السيد غلام رسول، من سكان "مندي بهاء الدين" وقد استُشهد في الثاني من سبتمبر الجاري في "مندي بهاء الدين". إنا لله وإنا إليه راجعون. قام شخص مجهول بمطاردته ثم أطلق النار عليه من الخلف فاستشهد. وكان عمره وقت الشهادة خمسة وستين عاما.

وبحسب التفاصيل الواردة، خرج مرزا صفدر محمود –في اليوم الذي وقع فيه الحادث– من ورشته على دراجة نارية لأداء صلاة المغرب، وفي الطريق كانت هناك منطقة مهجورة، فبينما كان يمر بها قام شخص مجهول بمطاردة دراجته النارية وأطلق النار عليه من الخلف، فأصابته ثلاث رصاصات أدت إلى وفاته في المكان نفسه. وبعد الواقعة لاذ المهاجم بالفرار.

لقد دخلت الأحمدية في أسرة الشهيد المتوفى عن طريق جدته لأمه السيدة حسين بي بي من "كهاريان" في محافظة غوجرات. وعادة ما تدخل الأحمدية في الأسر عن طريق الرجال، لكن دخلت الأحمدية هنا في أسرتهم عن طريق سيدة نالت سعادة البيعة في أوائل عهد الخليفة الثاني. ثم بدعوة جدته لأمه السيدة حسين بي بي وتبليغها بايع أيضًا جد الشهيد لأبيه السيد نواب دين، وكانا قريبين بالنسب.

كان الشهيد من البارزين في منطقته، وله شهرة خاصة بحرفته ومهارته؛ إذ كان ميكانيكيًّا وله ورشة خاصة، وكانت تجارته جيدة. وكان صدوقًا ملتزمًا بالمبادئ، يكره الكذب، وهذا من أبرز صفاته. وكان يلتقي كل قادم ببشاشة ومحبة كبيرتين، ويسلّم بحرارة شديدة. ولم يكن أي سائل يخرج من ورشته خالي اليدين أبدًا.

تقول زوجة الشهيد المتوفى السيدة نويدة أنه كان يحب الخلافة حبًّا جمًّا، وكان إلى جانب الصلوات الخمس يصلي التهجد، ويستفيد بانتظام من برامج إم تي إيه. وفي اليوم الأول من كل شهر كان يكمل حساب دخله ويتصل بسكرتير المال ويذهب إلى بيته ويدفع تبرعاته، وهكذا كان يفعل بانتظام. وكان يتصدق بكبش في كل شهر بانتظام. وكان يساهم في التبرع لبناء المساجد وفي صناديق التبرعات المالية الأخرى. كان منضمًّا إلى نظام الوصية، وأدخل جميع أفراد أسرته في نظام الوصية أيضًا. وكان يهتم كثيرًا بالموظفين، فإذا احتاج أحدهم إلى مساعدة مالية أو مرض أحدهم فكان الشهيد يتكفل به، ويراعي أولادهم ويحاول تحمل نفقاتهم. كانت له ورشة، والناس عادة يهتمون بكسب الأموال، أما هو فكان إذا تعطلت سيارة أحد المسافرين المارة فكان يصلحها بأجر زهيد جدًّا، وأحيانًا يصلحها مجانًا. ومهما كان مشغولا كان يُفضل الحضور في برامج الجماعة.

ويقول أمير الجماعة في محافظة "مندي بهاء الدين": إن الشهيد المتوفى كان يخدم بوصفه نائب رئيس الجماعة، وسكرتير الأملاك، ونائب زعيم أنصار الله، ومنتظم المال في مجلس أنصار الله في مدينة "مندي بهاء الدين"، وكانت مناصب كثيرة موكلة إليه.

كان مسؤولا عن إدارة المسجد أيضا، وكان لديه مفتاحه، وهو كان يذهب عند كل صلاة ويفتح المسجد للمصلين. إن أصحاب الأعمال عادة لا يهتمون بهذا الأمر، أما هو فكان يذهب لكل صلاة وكان هو مَن يفتح المسجد.

يقول الداعية مظفر محمود: أخبرني الشهيد أنه منذ خمسة وعشرين سنة يصلي كل يوم ركعتين نافلة قبل أن يخرج إلى الورشة.

ترك الشهيد خلفه زوجته السيدة نويدة صفدر، وابنين: كامران صفدر ولقمان صفدر، وهما متزوجان. رفع الله درجات الشهيد وأكرمه بمقام عالٍ في جنة الفردوس، وألهم جميع ذويه الصبر الجميل، وكان لهم معينًا وناصرًا.

والذكر الثاني هو للسيدة العزيزة أمة العزيز التي توفيت في الأيام الماضية عن اثنين وستين عامًا بعد مرض طويل. إنا لله وإنا إليه راجعون. وكانت بفضل الله منضمة إلى نظام الوصية. كانت هي حفيدة حضرة المصلح الموعود ﵁ وحضرة السيدة أم طاهر، وابنة السيدة أمة الحكيم السيد سيد داود مظفر شاه. وكان السيد سيد داود مظفر ابن أخي أم طاهر وابن السيد سيد محمود الله شاه.

كانت ابنةَ خالتي والأختَ الصغرى لزوجتي أيضا، كان سيدنا الخليفة الرابع رحمه الله أعلن عقد قرانها مع السيد خالد ظفر بعد وفاة زوجته الأولى وبذلك كانت العزيزة أمةُ العزيز زوجتَه الثانية. كان الله ﷻ رزقها ابنين وهما بارعان، أحدهما واقف الحياة واسمه محمود افتخار وهو حصل على الشهادة في القانون ويخدم الجماعة في نظارة الأمور العامة بربوة، وهو محام ممتاز، والثاني حاشر ظفر وهو الآخر قد درس في ألمانيا

وحصل على الشهادة العليا، وكلاهما خدما والدتهما قدر المستطاع، جزاهما الله وأورثهما دعواتِ والدتهما في المستقبل أيضا، وثبَّتهما على درب البر والصلاح.

لقد عاشت العزيزة حياةً صعبةً وواجهت معاناة كبيرة، لكنها عاشت بمنتهى الصبر، ونادرا ما رأيت صبورة مثلها.

يقول أخو المرحومة العزيزة السيد خالد أحمد شاه المحترم: لقد خدمت أختُنا هذه والديها كثيرا وكانت بارة بهما، وبعد وفاة والدتها خدمت والدها كثيرا، كانت تسير على خطى والدتها في المواساة والاعتناء بالفقراء، وكان حبها وولاؤها للخلافة عديم المثال، كما ربَّت الأولاد أيضا بروعة، ومن خصالها البارزة أنها لم تكن تتكلم ضد أحد، ولم تكن تسمع الكلام ضد أحد، كان قلبها نظيفا، ولم تكن تطيق رؤية معاناة أحد، وكانت تصبر على آلامها. فقد صبرت كثيرا كما قلت آنفا، وكانت قد ابتعدت عن الاشتباكات المادية لاجتناب الخصومات، فقد تكلم الناس كثيرا ضدها وعلقوا عليها تعليقات سلبية أيضا لكنها لم تخاصم أحدا، فمن الملاحظ أن الخصومات البسيطة تحدث في كل مكان، لكنها لم تتشاجر مع أحد ولم تردّ على أحد، ولم تجرح مشاعر أحد، ولم تكن تطيق رؤية معاناة أحد، وكانت تتلهف لإزالة المعاناة، كانت تحب وتلاطف الأولاد الصغار كثيرا، كانت تتمتع بأنفة كبيرة، وكانت تخفي حاجاتها في نفسها، ولم تكن تعبر عنها أمام أحد، وكانت تتوكل على الله توكلا عظيما، وكان الله أيضا يراعي أنفتها ويهيء الوسائل من الغيب لسد حاجاتها.

تقول أختُها السيدة أمة الرؤوف المحترمة زوجةُ الدكتور تأثير مجتبى المرحوم: كانت أختنا هادئة ولا تؤذي أحدا وذات أنفة، وكانت تعتني بالفقراء وتُكثر الصدقات، وكانت تكنّ للخلافة احتراما عظيما وتبجِّلها، وكانت تستجيب لكل من طلب منها شيئا، وأثناء المرض كانت تقدِّر أنها تعاني مرضا يبدو الشفاء منه صعبا، لذا لا داعي للذهاب إلى المستشفى، لكنني حين قلت لها أن تتلقى العلاج في المستشفى، أطاعتني فورا رغم رفضها السابق وتلقت العلاج في المستشفى.

يقول ابنها محمود افتخار: كانت والدتي تقول لي ناصحة إن لك علاقة بعائلة المسيح الموعود عليه السلام لذا يجب عليك أن تخدم الجماعة ضعفين. وبعد انتخاب الخليفة الخامس طلبتْ منا نحن الصغيرَين كلينا أن نكتب الرسالة إلى الخليفة عاجلا، وكانت تنصحنا بأن نراسل الخليفة بانتظام، وكانت تنصحنا دوما بالتزام الصلاة والاستماع إلى خطبة الخليفة، كانت عندها غيرة كبيرة لنظام الجماعة، ولم تكن تطيق أن يتكلم أحدٌ ضد نظام الجماعة أو ينتقده.

يتابع ابنها هذا ويقول: كلما وقف أحد أولاد والديها الحياة سُرَّت كثيرا وكانت تقول إن الواقفين لا يواجهون الضائقة المالية، وكانت تتمنى من ابنيها أيضا أن يقفا حياتهما كلاهما، فقد وقف أحدهما.

يقول حين وقفتُ حياتي نصحتْني قائلة: لقد وقفت الحياة والآن عليك أن تحافظ جيدا على هذا الوقف. وحين نلتُ الترقية وأصبحت نائب الناظر، قالت لي يجب ألا تفتخر بذلك، بل يجب أن تعمل بتواضع. وكانت تدعو لي كثيرا لأتمكن من إنجاز أعمالي جيدا، وكانت تسألني عن أوضاع الجماعة دوما، وكانت تسألني عن الصحة والعافية يوم الجمعة، وإذا كان عندها عملٌ تريد مساعدتي فيه، وسألتني ماذا أعمل، وقلت لها إنني أشتغل في أعمال الجماعة، قالت حسنا، يجب أن تُنهي عملك أولا ثم أنجزْ لي عمل كذا. كانت تعتني بسد حاجات الآخرين أكثر من اعتنائها بسد حاجاتها الشخصية، وكلما استعان بها أحدٌ أعانتْه حتما. كانت صبورة، وتتحمل معاناتها ولم تكن تقدر على تحمل معاناة غيرها، وكانت تتمنى ألا يصيب أحدا مكروهٌ، وكانت تسعى دوما لإزالة معاناته. كانت تحب جميع إخوتها وأولادَهم وأولاد الزوجة الأولى لوالدي. كانت تقول لنا نحن ابنَيها الاثنين أن علينا أن نعيش مع بعضنا البعض بحب، وأن يتوحد أولاد كلتا الأُمَّين، وألا نتشاجر أبدا، ولا نفترق أبدا، بل يجب أن نعيش بحب ووئام. فقد لاحظتُ أنا أيضا أنها اعتنت كثيرا بأولاد الزوجة الأولى لزوجها، فقد ربَّتْهم كأولادها إذ كانت أمُّهم فارقتْهم صغارا، وقدمت لهم كل ما في وسعها بحسب أوضاعها.

يقول ابنها هذا: كانت عندها عناية قصوى في طفولتنا أن نختم القرآن الكريم وكانت تأخذنا بانتظام إلى من يعلِّمنا القرآن، وكانت تنصحنا بأداء الصلاة في وقتها، وكلما ذكرتْ والديها ذكرت خدماتهما للجماعة. كانت تقول إنما عاشا حياة صعبة، لو كانا حيَّين الآن لعلما أننا نعيش أوضاعا أحسن بكثير مقابل ذلك، وكانت تخدم أولئك الذين خدموا والديها وتشكرهم، وكانت تعمل بكل ما تقول لنا. وكانت تقص علينا أحداثا ناصحة للصلحاء. حين تعلَّمنا القراءة فأول كتاب أعطتْنا للقراءة في الطفولة، كان عن سيدنا بلال والصاحبزادة عبد اللطيف.

كذلك كانت تهتم كثيرا بدفع التبرعات في أول الوقت، وتسعى ألا تتأخر عن الدفع، تقول إنها مرة وعدتْ بدفع مبلغ ولم يكن عندها مالٌ فدعتِ الله ﷻ فدبَّره الله لها عاجلا. يقول ابنها هذا إنها كانت تنصحنا بدفع التبرعات بانتظام.

كانت ترى رؤى صادقة، وتحفظ أسرار الآخرين، وكانت ستَّارة. من رؤاها الصادقة أنها رأت اسمي محمود افتخار في الرؤيا، حيث أعطاها حضرة الخليفة الرابع هذا الاسم في الرؤيا، فسُمِّيت بهذا الاسم. لقد شهدتْ مشاكل كثيرة في حياتها، ولم تُظهر قط معاناتها، وكانت دوما تشكر الله تعالى. ففي مرضها الأخير أيضا قد اعتنت بنا، كلما وجدتْني يقظا في البيت أو المستشفى، قالت لي نم، وإذا وجدتني نائما لم توقظني، بل كانت تنتظر أن أستيقظ فتطلب مني عملا.

يردف ابنها هذا كلامه فيقول: لقد ضحت بأفراحها، واهتمت بأفراح الآخرين، وكانت تكرم الواقفين كثيرا.

مثل ذلك يقول ابنها الصغير حاشر، وذكر المزايا نفسَها التي كتبها ابنها الأكبر، وقال كانت والدتي كجدتي رحيبةَ الصدر، ولم تكن تقصر في إنفاق مالها على الفقراء قط وكانت تقول لي أيضًا: مع أنك لست من الواقفين رسميًّا، فعليك أن تخدم الدين. وحين أخبرتها أنني أخدم الجماعة في ألمانيا، سُرّت بذلك كثيرًا. نسأل الله تعالى أن يعامل هذه الفقيدة العزيزة بالمغفرة والرحمة، وأن يرفع درجاتها.

أما الجنازة الثالثة، فهي للسيد رشيد أحمد أياز، أحد المتقاعدين من صدر أنجمن أحمدية، وقد توفي قبل أيام عن عمر ناهز ستة وثمانين عامًا. إنا لله وإنا إليه راجعون. وكان بفضل الله تعالى من الموصين. وقد ترك وراءه زوجته وابنتين وأربعة أبناء. ومن أبنائه السيد طاهر أحمد ظفر، وهو داعية الجماعة ونائب مدير جامعة المبشرين في غانا. ولم يتمكن من حضور جنازة والده بسبب مسؤولياته ووجوده في ميدان عمله. نسأل الله تعالى أن يرزقه أيضًا الصبر والثبات. ويكتب هذا الداعية أن الأحمدية دخلت عائلتهم عن طريق جدهم الأعلى، المرحوم ميان الله دتّه، من أبصار تشور، ثم انتشرت في أسرته. وقد ظل السيد رشيد أحمد أياز يخدم في مختلف أقسام صدر أنجمن أحمدية، كما اضطلع بأعمال أخرى بعد تقاعده. ويذكر ابنه أنه كان مواظبًا على أداء النوافل والمحافظة على الصلوات، وكان يكثر من الأذكار والدعاء. وكان شديد الإخلاص والتعلق بالخلافة، ومواظبًا على تلاوة القرآن الكريم. كما كان منتظمًا جدًّا في أداء التبرعات، ويحتفظ بسجل كامل لها. ولأنه كان من الموصين، فقد أدى كذلك حصة أملاكه في حياته. نسأل الله تعالى أن يعامله بالمغفرة والرحمة.